الباب الثانى

مصر الفرعونية

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

عصر الدولة القديمة (بناة الأهرام)

يبدو أن كلمة فرعون هي تطور لكلمة (برعو)، والتي تعني القصر أو البيت العظيم الذي كان يسكنه الحاكم، ثم امتد مدلول الكلمة ليشمل صاحب هذا القصر، وقد شاع هذا اللقب منذ أواسط القرن الثاني قبل الميلاد، وكان للملك ألقاب أخرى إلى جوار لقب فرعون، منها (حوري) نسبة إلى الإله حورس، واللقب النبتي، وغيرها[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، كيف أصبحت مصر دولة مركزية يحكمها الفرعون ؟

عاش الإنسان البدائي في مصر فوق الهضاب معتمدًا على ماتوفره له الطبيعة من غذاء وكساء دون أن يبتكر أو يصنع، حتى حل الجفاف الشديد فوق الهضاب فاضطر الإنسان مثله كسائر

1- مقتطفات من تاريخ الشرق الأدنى القديم – د. عودة عبد الواحد –ص9

obeikan.com

المخلوقات التي سكنت الهضاب بجانبه، إلى النزول من فوق الهضاب بحثا عن الماء والغذاء.

وجد المصري القديم نفسه أمام نهر النيل، وما لبث أن وجده حتى عرف الاستقرار على ضفافه وبنى مسكنه المتواضع من الطوب اللبن (طمي مخلوط بالقش)، وكما علمته الزراعة الاستقرار فقد علمته أيضًا التعاون، فشرعت الأسر والبيوت في الاتحاد مع بعضها مكونة قرى، ثم اتحدت القرى مع بعضها مكونة المدن، ثم نشأت الأقاليم من اتحاد المدن والقرى الكبيرة.

استطاع أحد حكام الأقاليم في الوجه البحري أن يوحد أقاليم الشمال تحت سيطرته وكوَّن مملكة الشمال وعاصمتها (بوتو) واتخذت من نبات البردي شعارا لها، وارتدى ملكها تاج لونه أحمر.

كما حدث في الوجه البحري، حدث في الوجي القبلي بالجنوب، فقد استطاع أحد حكام الأقاليم في الصعيد أن يوحد أقاليم الجنوب تحت حكمه مكونًا مملكة الجنوب، وعاصمتها (نخب)، وكان شعارها زهرة اللوتس، وارتدى ملكها التاج الأبيض.

مرت السنوات حتى كانت الوحدة الأولى لمصر عام 4242ق.م.، تلك الوحدة التي يغفلها الكثير من الباحثين، إلَّا أنها كانت بالفعل

هي أول وحدة تجمع كل مصر تحت حكم حكومة مركزية واحدة، وقد اتخذت تلك الحكومة الموحدة الأولى في تاريخ مصر من مدينة (أون) هليوبليس، ومكانها الآن عين شمس عاصمة لها، إلَّا أن هذه الوحدة لم تدم طويلا وسرعان ما انهارت وانقسمت مصر مرة جديدة إلى مملكتين، مملكة الشمال ومملكة الجنوب.

استطاع أحد أمراء الجنوب يعرف (مينا)، من مدينة طيبة (الأقصر) توحيد مصرمرة ثانية عام 3200ق.م.، تلك الوحدة التي حفظت حدود مصر إلى حد ما، منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا.

ومنذ أن وحد الملك مينا البلاد عام 3200ق.م. يمكننا أن نقول أن عصر الأسر الفرعونية الحاكمة قد بدأ، وقد قسم المؤرِّخ الشهير مانيتون الذي عاش زمن البطالمة هذا العصر إلى ثلاثين أسرة حاكمة، ثم أزاد ما لحقه من علماء إلى تقسيم مانيتون تقسيما جديدا، يقسم عصر الفراعنة إلى ثلاثة عصور، لكل عصر منها مايميزه عن غيره، وذلك حتى يسهل على الناس تتبع أخبارها.

يسبق تلك العصور عصر أقدم عرف بالعصر الأركي، وهو عصر بداية الأسرات، ويضم الأسرتين الأولى والثانية.

• **الأسرة الأولى:**

ارتبط تأسيس الأسرة الأولى بثلاثة أسماء هي (نعرمر – عجا – منى)، يحتمل أنها لملك واحد.[1]

هذا الملك الذي عرف باسم مينا، والذي استطاع توحيد القطرين عام 3200ق.م.، ودوَّن قصة نضاله من أجل توحيد مصر على لوحته الشهيرة التي عرفت باسمه، وهي لوحة حجرية مكونة من وجهين موجودة بالمتحف المصري بميدان التحرير بالقاهرة، ثم تتابع بعده عدة ملوك، مثل: (جروبواجي– دن – عنجاب – سمرخت – قاي عا)

• **الأسرة الثانية:**

كان عدد ملوكها ثمانية، هم: (حتب سخموي – نبي رع – ني نثر – بر أبسن – ونج – سنج– خع سخم – خع سخموي)

• **عصر الدولة القديمة (بناة الأهرام):**

عُرِفَ عصر الدولة القديمة الفرعونية باسم عصر بناة الأهرام، والسبب في ذلك أن ملوك هذا العصر اهتموا ببناء الأهرامات الضخمة، ولم تكن الأهرام حكرًا على ملوك هذا العصر، إلَّا أن ملوك

1– المرجع السابق صـ8.

الدولة القديمة كانت أهرامهم الأكبر والأفخم والأروع والأشهر والأدق تصميما والأكثر عددا بين أهرامات الفراعنة.

يمتد عصر الدولة القديمة في الأسرات من الثالثة إلى السادسة، وكان أشهر ملوكها هم:

1- الأسرة الثالثة:

بدأ عصر الأسرة الثالثة بالملك زوسر، ويبدو أن اسمه الحقيقي (نثر رخت)، وهو ابن خع سخموي أخر ملوك الأسرة الثانية من الملكة ماعت حاب.

استطاع زوسر مد حدود البلاد جنوبا، وسيطر على مملكة النوبة، وكان له الكثير من الأعمال العسكرية المهمة، إلَّا أن السبب الرئيس في شهرته هو أنه صاحب أول هرم في التاريخ والذي يعد كذلك أقدم قبر حجري عرفته البشرية، ويرجع الفضل في بناء قبر الملك زوسر بشكله الهرمي إلى وزيره (ايموحتب) والذي كان عالمًا في مجالات عديدة.

أما عن تعريف الهرم الفرعوني، فهو: بناء ضخم من الحجر يتكون من عدة حجرات، يوضع في إحدى هذه الحجرات تابوت الملك المُتوفي، أي هو عبارة عن مقبرة يُدفن بها مومياء الملك بعد

تحنيطها ومعها كل متعلقاته وأغراضه التي سيحتاجها في العالم الآخر، فمن الجلي أن المصري القديم قد اعتقد في البعث والخلود، والثواب والعقاب، مما كان لذلك أبلغ الأثـرفي حياته وعلومه وحضارته.

وهرم زوسر هو الهرم المدرج المشهور في سقارة (قرب الجيزة)، وهو يتكون من ست مصاطب فوق بعضها، لذا عرف بالمدرج.

من أهم ما يميز عصر الملك زوسر أيضًا أن مدرسة أون (عين شمس) قد اهتدت في عصره إلى تقويم جمع بين التقويم النجمي والشمسي، ونفذوه عام 2773ق.م.، واحتسبوا السنة 365يوم، وقسَّموا السنة إلى 12 شهر، كل منها 30 يوم، ثم خمسة أيام نسئ احتفلوا فيها بأعياد الأرباب (أوزير – ايسة – ست – نبتحت – حور)[1].

تعاقب بعد زوسر على عرش الأسرة الثالثة عدة ملوك، وانتهت بالملك حوني الذي حكم 24سنة، وشاد له مهندسوه هرمًا ضخما في ميدوم، وجعلوه على شكل هرم مدرج، إلَّا أنه توفي قبل أن يشهد الانتهاء منه، فأتمه ابنه سنفرو من بعده، والذي اعتبر أول ملوك الأسرة الرابعة.

1– المرجع السابق – ص14

2- **الأسرة الرابعة** (2680ق.م. – 2560ق.م.):

يعتبر ملوك هذه الأسرة من أشهر ملوك مصر عبر عصورها التاريخية كاملة، والفضل في ذلك يرجع إلى أهرامهم الضخمة التي شيدوها في الجيزة، والتي لاتزال شامخة صلبة ناظرة نظرة تحدي قوية إلى كل علماء الهندسة والعمارة في كل العالم، حتى أن الهرم الأكبر الذي يرجع بنائه إلى الملك خوفو اعتبر أحد عجائب العالم القديم.

أما عن ملوك الأسرة الرابعة وأهم أعمالهم، فيمكن ايجازه فيما يلي:

أ–سنفرو: ذكرنا فيما سبق أنه ابن الملك حوني آخر ملوك الأسرة الثالثة، ويعتبر سنفرو هو مؤسس الأسرة الرابعة، وقد تطور شكل الهرم في عصره إلى الشكل الهرمي المألوف لنا، وقد شيد له مهندسوه هرمين كاملين في دهشور، أحدهما يبدو منبعجًا أو منكسرًا، وربما كان ذلك السبب في لجوءهم لبناء الهرم الثاني. أدرك الملك سنفرو الأهمية الاقتصادية وكذلك الاستراتيجية التي تتمتع بها سيناء، لذا عمد إلى تأمينها دائما، وهو أول من اهتم بسيناء هذا الاهتمام من حكام مصر، واستخرج منها النحاس والفيروز.

ب- خوفو: هو خنوم خوفوي والمعروف باسم خوفو، وهو ابن الملك سنفرو، ونظن أن مجهودات أبيه كانت السبب في توفر الإمكانيات المادية والفنية والمعمارية في عصر الملك خوفو، رغم قلة ما تركه لنا من آثار حيث لم نعثر له سوى على تمثال صغير طوله 9سم، وهرمه الموجود في الجيزة والذي اعتبر من عجائب العالم القديم.

حكم خوفو 23سنة و كان يرتب ليخلفه ابنه كاوعب، إلَّا أنه تُوفي في حياة أبيه.

ج- جد فرع: ابن الملك خوفو، وقد تزوج من أرملة أخيه كاوعب، وقد بنى هرمه في أبو رواش، ولم يطل حكمه أكثر من ثماني سنوات.[1]

د- خفرع: ابن الملك خوفو وأخو جد فرع، تولى العرش بعد وفاة أخيه، ورغم أن له هرمًا كبيرًا وهو الهرم الأوسط بين أهرامات الجيزة الثلاث المشهورة، إلَّا أن تمثال أبو الهول الذي نحت في عهده قد طغت شهرته على شهرة الهرم نفسه، وهو تمثال نُحت على صخرة طبيعية من صخور الهضبة بارتفاع 22متر، وهو على هيئة أسد رابض، رأسه رأس إنسان، ويبدو أنها منحوتة على هيئة الملك خفرع نفسه.

1- المرجع السابق - ص19

obeikan.com

هـ- منكاورع: ابن الملك خفرع، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، وهو صاحب الهرم الأصغر بين أهرامات الجيزة الثلاث الشهيرة، ولم تملك الدولة في عهده نفس الإمكانيات كما كانت في عهد أبيه وجده، ولكن أهم ما ميز عصر الملك منكاورع هو الحرية الدينية التي اشتهر بها عصره، فلم يضيق على الناس لعبادة إله محدد.

و- شبسسكاف: تولى العرش بعد وفاة أبيه منكاورع، والغريب أنه لم يقم ببناء هرم مثل أسلافه، إنما بنى مقبرته على هيئة مصطبة ضخمة جنوبي سقارة.

ز- خننكاوس: يبدو أنها كانت أخت أو زوجة لشبسسكاف[1]، وآل إليها حكم البلاد بعد وفاته، ثم أصبحت زوجة لأوسر كاف رأس الأسرة الخامسة.

3- **الأسرة الخامسة:**

جمعت هذه الأسرة فرعي الأسرة الرابعة، فرع خفرع وقد مثلته خننكاوس، وفرع جد فرع الممثل في أوسر كاف، إلَّا أن هذه الأسرة قد أرجعت نسبها إلى إله الشمس رع، وكان الملوك الفراعنة دائما يدعون انتسابهم للألهة لتأكيد حقهم في الحكم.

1- المرجع السابق - ص22

وكان أشهر ملوك الأسرة الخامسة (أوسر كاف – ساحو رع – اسس) وترك ملوك هذه الأسرة أغلب آثارهم في منطقة أبي صير بالجيزة، وأشهرها معابد الشمس المكشوفة، ويبدو أنهم تركوها مكشوفة، لأن طقوس عبادة رع إله الشمس كانت تقام نهارًا أثناء سطوع الشمس.

4- **الأسرة السادسة:**

جاء الملك تتي على رأس الأسرة السادسة، واشتهر بعده ثلاثة ملوك هم (بيبي الأول – مرنوع – بيبي الثاني)، وقد اشتهر هذا العصر بالبيروقراطية والتي وفرت لكبار الموظفين والكهنة مكانة معنوية ومادية كبيرة، أدت بطبيعة الحال إلى انهيار سلطة الحكومة المركزية في الدولة في نهاية عصر الأسرة السادسة.

بانهيار سلطة الحكومة المركزية، فقد الملوك السيطرة الكاملة على البلاد، لاسيما في عصر بيبي الثاني، الذي تولى الحكم طفلًا، وقد شَهِدَ عصره ثورة اجتماعية واسعة أدت إلى انهيار حكم أسرته، وقد حكم بيبي الثاني مصر لمدة تقترب من 90 عام، وهي أطول مدة حكمها فرعون.

الفصل الثانى

عصر الدولة الوسطى (الرخاء الإقتصادى)

بانهيار الأسرة السادسة الحاكمة في مصر الفرعونية، دخلت البلاد في فوضى عارمة، ظلت هذه الفوضى ممتدة من الأسرة السابعة حتى العاشرة في فترة زمنية لم يرد إلينا منها الكافي من المصادر التاريخية، إلَّا أن علماء التاريخ قد أطلقوا على هذه الفترة اسم (عصر الانتقال الأول أو الاضمحلال، أو اللامركزية).

ظهرت أسرة من اهناسيا (بني سويف) استطاعت أن تسيطر إلى حد ما على البلاد، إلَّا أنها سرعان ماسقطت هي الآخرى.

جاءت طيبة مرة جديدة لتلعب دورها في إعادة توحيد البلاد، وبواسطة أحد أمرائها العظام وهو منتوحتب الثاني، والذي استطاع إعادة وحدة البلاد ونشر الأمن والأمان والاستقرار، واتخذ من طيبة مدينته عاصمة للبلاد.

obeikan.com

وبإعادة توحيد البلاد والقضاء على الفوضى بيد منتوحتب الثاني، بدأ عصر الدولة الوسطى، العصر الذي عرف باسم عصر الرخاء الاقتصادي، وترجع هذه التسمية إلى أن ملوك هذا العصر قد اهتموا بإقامة المشروعات الاقتصادية في كل المجالات والتي عادت على البلاد والعباد بالخير والرخاء.

ضم عصر الدولة الوسطى أسرتين، هما: الحادية عشر والثانية عشر.

1- **الأسرة الحادية عشر:**

يعد الملك منتوحتب الثاني هو رأس هذه الأسرة، وقد تعاقب على حكم مصر من ملوك هذه الأسرة العديد من الملوك الذين حملوا اسم منتوحتب، ونقلت في عهدهم عاصمة مصر إلى طيبة، وأهم ما قام به الملك منتوحتب الثاني هو أنه حد من سلطات حكام الأقاليم وأخضعهم لأمره، مما أدى إلى استعادة المركزية للبلاد مرة أخرى.

2- **الأسرة الثانية عشر:**

يعتبر عصرها من أزهى عصور مصر الفرعونية، وتعاقب على حكمها العديد من الملوك المشهورين بقوتهم ومشروعاتهم الاقتصادية العملاقة، وقد بدأ عصر هذه الأسرة بالملك أمنمحات الأول، ثم خلفه ابنه سنوسرت الأول.

إلَّا أن أشهر ملوك هذه الأسرة على الاطلاق، هما:

أ- سنوسرت الثالث: أحد أعظم حكام مصر في تاريخها، وشهد عصره مشروعًا ملاحيًا عملاقًا، وهو ما عرف بقناة (سيزوستريس)، تلك القناة التي حملت نفس فكرة قناة السويس الحالية، إلَّا أن الفرق بينهما هو أن قناة (سيزوستريس) لم تربط بشكل مباشر بين البحرين الأحمر والمتوسط مثلما الحال في قناة السويس، وإنما ربطت بينهما من خلال ربط البحر الأحمر بنهر النيل بواسطة قناة (سيزوستريس)، ونهر النيل بدوره متصل بمصبه في الشمال وهو البحر المتوسط.

كان لهذه القناة الجديدة أثر بالغ الأهمية في زيادة النشاط التجاري بين مصر وجيرانها وخاصة بلاد فينيقيا (سوريا الحالية).

عُـرِفَ عن الملك سنوسرت براعته في الحرب وشجاعته، واستطاع أن يفرض سيطرته على كل البلاد، ويؤمن حدودها خاصة الحدود الجنوبية.

ب- أمنمحات الثالث: أحد أشهر ملوك الأسرة الثانية عشر، وكان جل اهتمامه مُنصَبْ على المشروعات الاقتصادية خاصة تلك

التي تخدم الري والزراعة، ومن أبرز مشروعاته سد اللاهون الذي بناه في منطقة الفيوم لغرض حماية الفيوم من مياه الفيضان وزيادة الرقعة الزراعية بواسطة المياه المخزنة.

اهتم كذلك بالعمران، وشيَّد هرمًا له بالقرب من الفيوم، كما شيَّد معبدًا ضخما في الفيوم هو معبد (اللابرنت)، (la byranthos)، ووصف هيرودوت المعبد بأنه يتألف من طابقين، وكان يضم ثلاثة ألاف غرفة، نصفها فوق الأرض ونصفها تحتها، ويبدو أن كثرة الغرف والحجرات بالمعبد دفعت البعض ليطلق عليه اسم (قصر التيه).

انتهى حكم الأسرة الثانية عشر، وانتقل العرش إلى ملوك أسرة جديدة هي الأسرة الثالثة عشر، ولكن الطريقة التي تم بها ذلك غير معروفة لنا، وسرعان ما حل الضعف بالبلاد، فحلت بمصر فترة من أصعب فتراتها على مر تاريخها، وهي ماعرف بمحنة الهكسوس.

• محنة (غزو) الهكسوس:

في ظل حالة الفوضى التي عمت البلاد في عصر الأسرة الثالثة عشر، أصبح المناخ مهيئًا للهكسوس للانقضاض على مصر، وبعد

أن احتلوا مصر السفلى و الوسطى، وعجزوا عن احتلال مصر العليا (جنوب الصعيد)، أقاموا مملكة لهم على الأرض التي احتلوها.

والهكسوس هم قبائل رعوية غزت مصر من ناحية الشرق، وقد تفوقوا على المصريين عسكريًا بشكل واضح، ويرجع السبب في ذلك إلى كثرة أعدادهم، وامتلاكهم لسلاح جديد لم يره الجيش المصري من قبل، وهو ما عرف بالعجلات الحربية التي تجرها الخيول.

اتخذ الهكسوس من مدينة أواريس (الزقازيق) عاصمة لدولتهم التي أقاموها في شمال ووسط مصر، وكان احتلال الهكسوس لمصر نكبة ومحنة كبيرة على مصر والمصريين، وأطلق المصريون على هؤلاء الغزاة لقب (عامو) والتي تعني الملوك الرعاة.

أساء الهكسوس معاملة المصريين، ولم يحترموا مقدساتهم، وحاول المصريون التخلص من احتلال الهكسوس مرارًا وتكرارًا، ولكن انتهت محاولاتهم إلى الفشل، حتى عادت طيبة من جديد.

• حرب التحرير:

حمل أمراء طيبة لواء الكفاح لتحرير البلاد من الهكسوس، وعلى مر التاريخ كانت طيبة (الأقصر) عامرة بالأمراء المخلصين للوطن،

وقد ارتبط الكفاح ضد الهكسوس باسم أحمس، إلَّا أننا لا يجب أن نغفل أن أبيه (سقنن رع) وأخيه (كامس) قد سبقاه في الكفاح ضد الهكسوس، إلَّا أنهما قد قتلا في حروبهما ضد الهكسوس في الوقت الذي كان أحمس فيه مازال صغيرا.

كان للملكة اياح حتب دورًا عظيمًا في تربية ابنها أحمس تربيًة جعلت منه هذا الفارس الشجاع البطل الذي استطاع هزيمة الهكسوس بعد أن أعد لهم جيدا، وجهز جيشه بالعجلات الحربية.

هزم أحمس الهكسوس في مصر ولاحقهم حتى أخرجهم من البلاد نهائيًا، وتعقبهم إلى فلسطين وحاصرهم لمدة ثلاث سنوات في حصن لهم يعرف بحصن (شاروهين).

ورغم أن مصر وشعبها لديهما القدرة على استيعاب أي هجرة تنزل بمصر، إلَّا أن وضع الهكسوس كان مختلفًا، فلم يختلطوا بالمصريين رغم أنهم تأثروا بالمصريين في عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وملابسهم.

على أي حال، وبانتصار أحمس على الهكسوس واستعادة السيطرة الكاملة على كل شبر من أرض مصر، يبدأ عصر الدولة الحديثة أو ما عُرِفَ بعصر المجد الحربي.

الفصل الثالث

عصر الدولة الحديثة (المجد الحربى)

بانتصار أحمس على الهكسوس يبدأ عصر الدولة الفرعونية الحديثة، هذا الانتصار الذي يعد بداية سلسلة الانتصارات التي حققها ملوك مصر في هذا العصر، والتي دفعتنا إلى تسميته بعصر المجد الحربي.

والواضح أن تلك الانتصارات لم تكن فقط لصد هجمات الأعداء الغزاة، بل كان منها معارك انتصر فيها الجيش المصري بغرض تدعيم ملك الإمبراطورية المصرية التي اتسعت لتشمل مناطق شاسعة في أسيا وأفريقيا، خاصة في عهد تحتمس الثالث، والذي كون بدوره إمبراطورية عظيمة عرف أنها أقدم وأول إمبراطورية في التاريخ.

obeikan.com

تميزت هذه الفترة كذلك بوجود العديد من الأنبياء في مصر، والتي بدأت بقصة يوسف عليه السلام وتبعه إلى مصر أبيه النبي يعقوب عليه السلام وكل بني إسرائيل، وتوالى الأنبياء منهم حتى بعث فيهم نبي الله موسى عليه السلام، ومن المرجح كذلك أن بعد خروج بني إسرائيل من مصر قد حدثت مصاهرة بين النبي سليمان عليه السلام وملوك الفراعنة، حيث يقال أن سليمان عليه السلام قد تزوج من احدى بنات أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين.

1- **الأسرة الثامنة عشر:**

كما ذكرنا من قبل، يعتبر الملك أحمس أول ملوك هذه الأسرة، وفي عهد هذه الأسرة استعادت الملكية هيبتها، وتم تحرير البلاد وتوطيد استقلالها بعد محنة الهكسوس.

وقد تعاقب في أسرة أحمس اثنا عشر ملكًا حكموا لأكثر من قرنين ونصف من الزمان وهم (أحمس – أمنحتب الأول– تحتمس الأول– تحتمس الثاني– حتشبسوت–أمنحتب الثاني– أمنحتب الثالث– أمنحتب الرابع– سمنخ كا رع– توت عنخ أمون– أي – حور محب)[1]

1– المرجع السابق – ص54

وسنتناول أشهر ملوك الأسرة بعد أحمس، وأهم أعمالهم بشئ من التفصيل:

أ–حتشبسوت: واضح من الاسم أنها امرأة، وكانت التقاليد الملكية تمنع تولي العرش امرأة منفردة، ولم يكن هناك سوابق لتولي ملكات منفردات عرش مصر، لذا زوجها أبوها لأخ لها من زوجة ثانوية، وكان هذا الأخ هو تحتمس الثاني.

استطاعت حتشبسوت أن تفرض شخصيتها على أخيها وتنفرد بالحكم، ومن ثم عملت على الايحاء لمن حولها ولكل الشعب المصري أنه لا فرق بينها وبين الرجال، وقامت بارتداء ملابس الرجال.

كان عصر حتشبسوت عصر ينعم بالرخاء والاستقرار اذ أنها لم تكن تميل إلى الحروب، وتفرغت للعمران ويشهد على ذلك معبدها في الأقصر والذي يعرف بالدير البحري.

اهتمت حتشبسوت بالبعثات التجارية، فأرسلت بعثة إلى بلاد بونت (الصومال) لاستيراد البخور والعاج والأحجار الكريمة وجلد الأسود، كما جلبت الأحجار الضخمة لبناء المعابد من أسوان.

ب–تحتمس الثالث: هو ابن تحتمس الثاني من زوجة ثانوية غير حتشبسوت، وقد انفرد بالحكم بعد وفاة حتشبسوت، ويعتبر

تحتمس الثالث أحد الأبطال العسكريين العظام، وهو صاحب أقدم إمبراطورية قامت في تاريخ البشرية.

سيطر تحتمس الثالث على الشام بعد أن أرسل ست عشرة حملة عسكرية أهمها هي التي قادها بنفسه وانتصر فيها على أمير قادش وغنم منه مغانم كثيرة، وعَرفت هذه المعركة باسم مجدو.

كما اتجه تحتمس الثالث ناحية الجنوب وسيطر على بلاد النوبة، بل وامتدت سيطرته حتى وصلت إلى شلال النيل الرابع.

استطاع كذلك أن يكون اسطولا عسكريا قويا مكنه من فرض سيطرته الكاملة على جزر البحر المتوسط، كما عرف أن تحتمس الثالث هو أول من اخترع حرب الاستباقية والمداهمة، وأول من قسم الجيش إلى قلب وجناحين.

على أي حال، كان تحتمس الثالث واحدًا من أهم القادة العسكريين الذين مروا على تاريخ مصر.

ج- أمنحتب الرابع: عُرِفَ أيضًا باسم (اخناتون)، وتزوج واحدة من أشهر ملكات مصر وهي (نفرتيتي)، ويبدو أنهما لم يهتما كثيرًا بشئون السياسة، بل انصب جل اهتمامهما على أمور العبادة والدين.

كانت عبادة الاله أمون هي العبادة الرسمية للدولة المصرية في ذلك الوقت، وجاورها العديد من العبادات لألهة أخرى ثانوية يبدو أنها اقتصرت على بعض المدن أو الأقاليم، فأراد أمنحتب الرابع أن يوحد كل الألهة والعبادات في إله واحد.

اختار أمنحتب الرابع اسم (أتون) للاله الواحد، ورمز له بقرص الشمس التي تصل اشعاعتها إلى سائر المخلوقات، وغير اسمه إلى (اخناتون) والتي تعني خادم الاله أتون، وأقام عاصمة جديدة لتكون مركزا لعبادة الاله أتون، وهي مدينة (اخيتاتون)، إلَّا أن ذلك لم يستمر طويلًا حيث داهمته ثورة كهنة آمون وأتباعهم والتي أطاحت بحياته هو نفسه.

وقد ذهب كثير من المؤرِّخين إلى أن أمنحتب الرابع (اخناتون) هو الملك الذي حدث في عهده القحط الشهير الذي امتد سبع سنوات زمن وجود النبي يوسف عليه السلام في مصر، وأنا شخصيا أميل إلى هذا الرأي وبالأخص أن عصر اخناتون كان عصر ثورة دينية هدفت إلى توحيد الالهة، وبالأدق عبادة إله واحد، إلَّا أن الدليل المادي الذي يؤكد ذلك مازال غير موجود أمامي، لكن الحدث الأكيد، أن يوسف عليه السلام قد جاء إلى

مصر، ودارت أحداث قصته ثم تبعه نزول بني إسرائيل إلى مصرفي عصر الأسرة الثامنة عشر أو قبلها قليلًا.

د- توت عنخ أمون: على الأرجح هو الأخ الأصغر لإخناتون، وقد تولى الحكم وهو غلام صغير وحكم لمدة ثماني سنوات، وأبرز ما يميز عصره أنه ارتد عن عبادة أتون إلى عبادة أمون مرة أخرى، كما أعاد العاصمة إلى طيبة.

ولعل شهرة توت عنخ أمون ترجع إلى إكتشاف مقبرته كاملة عام 1922م، دون ان تصل إليها أيادي اللصوص، وقد نقلت أغلب محتوياتها من المقبرة بالأقصر إلى المتحف المصري بوسط القاهرة، حيث عثر على أثاثه الدنيوي وأثاثه الجنزي، وأروعها تابوته الذهبي وثلاثة توابيت أخرى مطلية بالذهب، كما عُثِرَ على كرسي عرشه وصندوقه الخاص وتماثيله الصغيرة المعروفة بالأوشابتي، أما أشهر متعلقاته على الإطلاق فهو القناع الذهبي الخاص به والذي يحمل ملامح وجهه اليافعة.

2- الأسرة التاسعة عشر:

رغم أن أول ملوك هذه الأسرة هو الملك (با رع مسسو) والذي عرف باسم (رمسيس) إلَّا أن ابنه سيتي الأول يعتبر هو المؤسس الحقيقي للأسرة التاسعة عشر.

وترجع أهمية هذه الأسرة في التاريخ إلى أن احتمالات أن تكون هي الأسرة التي خرج في عصرها بني إسرائيل من مصر احتمالات كبيرة جدا، على أي حال سنتناول أهم ملوك هذه الأسرة وأهم أعمالهم فيما يلي:

أ- سيتي الأول: يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة، اهتم بالحياة الدينية، واستغل المناجم خاصة مناجم الذهب في الصحراء الشرقية، وحارب الحيثيين في الشام حروب عديدة.

ب- رمسيس الثاني: خلف أباه سيتي الأول عام 1290ق.م.[1] ولعل هذا التاريخ الذي تولى فيه رمسيس الثاني العرش ومن المؤكد أن اليهود خرجوا من مصر في حكم رمسيس الثاني أو في حكم ابنه مرنبتاح، هو أكبر دليل على افتراءات اليهود بأنهم سخروا لبناء الأهرام أثناء فترة وجودهم في مصر.

فبني إسرائيل دخلوا مصر قبل هذا التاريخ بفترة لاتتجاوز

1- المرجع السابق – ص63

obeikan.com

الثلاثة قـرون، في حين بنيت الأهـرام المشهورة في عصر الأسرة الرابعة، أي قبل هذا التاريخ بحوالي خمسة عشر قرنًا.

وقد حكم رمسيس لمدة 67سنة، كانت مليئة بالأعمال لاسيما الأعمال العسكرية، فقد انتصر على الحيثيين في معركة عظيمة حدثت في قادش بالشام وعرفت باسم (قادش) أيضا، ورغم انتصاره الكبير إلَّا أنه آثر أن يعقد معهم معاهدة سلام، والتي يبدو أنها كانت أقدم معاهدة سلام في التاريخ، ونال رمسيس الثاني بسبب هذه المعاهدة لقب بطل الحرب والسلام.

ولرمسيس الثاني معبدين مشهورين في أبي سمبل، وعُرِفَ عن عصره كذلك بناء المسلات الضخمة.

ج- مرنبتاح: هو ابن رمسيس الثاني،وعرفنا عن رمسيس الثاني أنـه قد تـزوج عدة زيجات، وقد تصدى مرنبتاح لهجمات الليبيين القادمة من الحدود الغربية، إلَّا أن أهم ما يميز عصر مرنبتاح هو لوحته الشهيرة الموجودة في المتحف المصري بوسط القاهرة، والتي ذكر فيها اسم الإسرائيليين لأول مرة في التاريخ المصري، وتوضح هذه اللوحة أنه اشتد عليهم وتتبعهم وأراد الانتقام منهم.

3- **الأسرات من 20 إلى 30:**

لم يكن ملوك هذه الفترة كسابقيهم من ملوك الفراعنة، إلَّا قليلهم، فكثرت الغارات على مصر من جميع الجهات، وطمع الغزاة فيها بسبب ضعف حكامها حتى انتهى الأمر إلى سقوط مصر في يد الغزاة الفرس.

وقد عُرِفَ هذ العصر الذي ضم الأسرات من العشرين وحتى الأسرة الأخيرة باسم (العصرالمتأخر)، وكان لبعض ملوك هذه الفترة بعض الأعمال العظيمة، سنتناول بعضها.

أ- رمسيس الثالث: من ملوك الأسرة العشرين، وأهم أعماله هي تصديه لهجمات شعوب البحر المتوسط التي هاجمت مصر برا وبحرا.

ويبدو أن مصر قد سقطت في يد الليبيين بعد ذلك، ثم استطاع أمراء النوبة تكوين الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية والتي عرفت باسم (الأسرة النوبية)، إلَّا أن حكمها لم يدم طويلا حيث سقطت مصر في يد الأشوريين.

ب- أبسماتيك الأول: من ملوك الأسرة السادسة والعشرين والتي عرفت بالعصر (الصاوي) وقد استطاع تحرير مصر من الأشوريين.

ج- نخاو(نكاو) الثاني: هو خليفة أبسماتيك الأول، والذي استطاع أن يحافظ على حدود الدولة ويتصدى للمغيرين، كما قام بإعادة حفر قناة سيزوستريس التي كانت قد حفرت في عهد سنوسرت الثالث، كم أرسل بعثة تجارية للدوران حول أفريقيا استغرقت ثلاث سنوات ويبدو أن البحارة الذين قاموا بهذه الرحلة بأمر الملك نخاو كانوا من الفينيقيين.

على أي حال، بعد وفاة نخاو مرت مصر بفترة عصيبة، وازداد النفوذ الأجنبي في مصر خاصة أن الجيش المصري في هذا الوقت كان معظمه من المرتزقة الإغريق، كما اشترك اليهود في هذه المؤامرة والتي انتهت بسقوط مصر في يد الفرس.

ففي عام 525ق.م. هاجم (قمبيز) ملك الفرس مصر، وساعده (فانيس) الخائن قائد جيش المرتزقة الإغريق في مصر وانضم اليهود إلى هذه المؤامرة فسقطت مصر في يد الفرس وظلت منذ ذلك التاريخ خاضعة لحكمهم حتى مجئ الإسكندر الأكبر إلى مصر 332ق.م. الذي طرد الفرس من مصر، واستبدلت مصر الحكم الفارسي بالحكم المقدوني

وبذلك نطوي صفحة من صفحات تاريخ مصر الممتلئ بالأحداث والشخصيات العظيمة، وننتقل إلى تناول عصر أخر وشخصيات أخرى.